بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

منهج البحث ومصادره

قصدت فى هذا البحث إلى أن أؤرخ شعر الطبيعة عند العرب ، فى عصوره الكبرى : الجاهلى والإسلامى والعباسى ، تأريخاً فنيًّا يصور هذا الشعر منذ نشأ بدويًّا بسيطاً إلى أن تعقد فى البيئات المدنية المختلفة ، ويقدم النماذج الممثلة لهذا التطور.

ولما كان هذا الفن موزعاً بين سائر فنون الشعر ، مبعثراً فى الدواوين والمجموعات الأدبية ، فقد عملت على أن أؤلف من مضطربه نظاماً ، ومن متفرقه صورة موحدة . ولهذا ذهبت أستخرج من مجموعات الشعر ودواوينه صور الطبيعة ، وأرتبها وأعلق عليها ، وأربط بينها وبين الجو المحيط بها ، وأشرح نواحيها الفنية .

ولم يكن أمامى فى هذا مثل أحتذيه ، ولا أعمال أولية أحاول التقدم بها أو إتمامها . ذلك بأن نقاد العربية وأصحاب المجموعات الشعرية قد أهمل بعضهم وجود شعر الطبيعة إهمالاً ، وأورده البعض فى باب الوصف العام ، من غير تقدير لكيان مستقل له . ولم ينل باب الوصف من عنايتهم إلا حظًّا ضئيلاً بالقياس إلى حظ غيره من الأبواب . ويكفى للدلالة على هذا أن أبا تمام لم يدون فى حماسته سوى سبعة عشر بيتاً فى باب الوصف ، وأن البحترى لم يدون من شعر الطبيعة شيئاً .

أما الثعالبى صاحب اليتيمة فقد بعثر فى كتابه شيئاً من هذا الشعر ، قاصراً عنايته على العرض البيانى والبديعى . وأتى النويرى صاحب «نهاية الأرب» ، فخلط بين الفن والعلم كما تصوره معاصروه ، وجمع ، فى حديث النبات والزهر والحيوان وخواصها الطبيعية والطبية والسحرية ، ما فيها من شعر ، مسخراً الفن للتعريف العلمى أو ما يماثله كما سخره الجاحظ من قبل فى كتاب الحيوان . ويشبهها فى هذا ابن منظور فى «نثار الأزهار» ، مع فرق الإطناب عندهما والإيجاز عنده ، وتوجيه ابن منظور همه إلى إيراد ما قيل فى الكواكب والنجوم . ومثلهم

النواجى فى «حلبة الكميت» مع عنايته الأولى بالخمر والزهر . ويأخذ كذلك من هذا الإيراد الشعوى بحظ بعض الكتب التاريخية والأدبية المختلفة .

وفى مقام الحديث عن دواوين الشعر ومجموعاته ، ينبغى أن أنوه بفضل المستشرقين فى نشر بعضها وترتيبه والفهرسة له ، وبخاصة الشعر القديم ، وإن افتقر هذا الجهد إلى السليقة اللغوية العربية التى تعصم صاحبها من الوقوع فى كثير من الأخطاء حين يصحح الشعر العربى أو يستنبط منه . وأنوه كذلك بجهد المحدثين من المصريين والشرقيين فى النشر العلمى على نحو جدير بالتقدير .

وإذ كان الأدب نتاجاً للبيئة وشخصية الأديب ، لم يكن مناص من تقدير هذين العاملين وما يتصل بهما ، فعنيت بتبيان أثر البيئة فى شعر الطبيعة ، وتوجيه المنتج بدوافعه الذاتية له .

وكان مصدرى فى هذا كتب التاريخ العام والتاريخ الأدبى . وهنا تقع فى المقدمة كتب الأغانى وتواريخ الطبرى وابن الأثير وابن خلدون ، وسائر كتب التراجم والطبقات القديمة . ومؤلفات الغربيين وبخاصـــــة Caussin dc, Dozy, O. Leary, Nicholson Perceval, Goeje, Noldeke, Quatremere, Lane Poole, Butler, A. Mez W. Ahlwardt, Sedillot.

كما أفادتنى كثيراً كتب أساتذتى فى جامعة فؤاد الأول وبحوثهم .

على أن هذا الغرض يقوم فى أبواب الرسالة مقام المقدمات لها والخواتيم ، ويدور حول التفسير لنشأة شعر الطبيعة وتطوره الموضوعى والأسلوبى .

وعنيت كذلك بالإفادة من آثار النقاد والأدباء الغربيين فى تعريف شعر الطبيعة وتفسيره ، والربط بين الآثار العربية والآثار الأجنبية ، وتبيان موضع الفن العربى بين الفنون العالمية .

ولاحظت فى كل ذلك أن تكون الإفادة فى المنهاج وحده مع التقدير للخصائص العربية ، بل ملازمة الجو العربى الخالص .

واعتمدت فى هذا على النماذج الأدبية أولاً ، وبخاصة الإنجليزية والفرنسية ، وعلى آراء النقاد ثانياً . فالآثار الأدبية أعظم كَشفاً لمعنى هذا الفن ومراميه عند الغربيين من تعليقات النقاد والمؤرخين ، بل إن هؤلاء لا يعنون بالتحديات والتعريفات قدر عنايتهم بإيراد النصوص الأدبية وتبويبها ، وبيان محاسنها وأهدافها الفنية .

ووجدت من الخير الأخذ بأحدث الآراء النقدية ؛ فلا يقف البحث عند بيان الاتجاه فى نشوئه وتطوره ، وعرض الأمثلة المختلفة ، والدلالة على ما فيها من مآخذ ، وإنما يتجاوز ذلك

كاء إلى الدلالة على ألوان الإبداع الأدبى . فهذه الدلالة ، فى رأى بعض المحدثين الغربيين ، أهم أغراض النقد وأجدرها بالحياة ، بل رأى فريق أن يستبدل باسم النقد العتيق "Criticism" اسماً آخر لا يتصل بمعنى الحكم والكشف عن الأخطاء ، وإنما يتصل بمعنى القصد الى تجلية الآثار الأدبية فى أبهى ثيابها ، والتحبيب فى مطالعتها ، والإطناب فى شرح مفاتنها .

وإنى لأرجو أن أكون قد حققت بعض ما إليه قصدت ، وأفدت من هدى أساتذتى الأجلاء ، وبخاصة الأستاذان الكبيران أحمد أمين بك والدكتور عبد الوهاب عزام ؛ فقد كان لهما فضل مراجعة البحث فى دور إعداده .

والله خير هاد إلى سواء السبيل .